كاتب من العالم

مواجهة نظام الحدود الإقصائي في بريطانيا

ديفيد هيرد

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في أسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع القارئ العربي. «من خلال الممارسات العنصرية، سمحت المملكة المتّحدة بظهور قسوة تُلحق ضرراً بالغاً بالثقافة ككلّ»، يقول الشاعر والكاتب البريطاني لـ «العربي الجديد»

ديفيد هيرد (تصوير: سارة هكسون)

إدارة ـ **العربي الجديد**

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

يتّسم المشهد الشعري في بريطانيا بالحيوية في الوقت الحالي. لقد أضاءت بعض دور النشر، التي تأسّست مؤخّراً، مثل «ماميثار» و«بريس 87»، جسّاً أمميّاً جديداً على الكتابة المعاصرة؛ كما تستمرّ دُور النشر العريقة، مثل «شيرزمان» و«كاركانيت» و«غرانتا» و«بلاكبوكس مانيفولد»، بتوفير مساحة للعمل الإبداعي والمبتكر شكلياً وسياسياً. إنّنا في المملكة المتّحدة بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى خيالات جديدة. والشعر المعاصر يُسهم في هذا العمل الحاسم.

■ كيف تقدّم عملك لقارئ جديد، وبأي كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

أنا شاعر غنائي تتناول أعماله، من بين موضوعات أخرى، الصداقة والحركة والمناظر الطبيعية والسياسة. خلال عملي لسنوات عديدة مع طالبي وطالبات اللّجوء في المملكة المتّحدة، لاحظتُ العواقب الإنسانية لما يُدعى «البيئة المعادية»، بهدف شعري إلى إعادة تصوُّر العلاقات بين الناس والمناظر الطبيعية واللغة، والإفصاح عن محيط مبنيّ على الترحيب. الكتاب الذي أنصح القارئ الجديد أن يبدأ به هو «أغنية المشي».

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

لسنوات عديدة، حاولت كناشط وكاتب مقالات، أن أساعد على مواجهة الثقافة التي يصنعها السياسيون في المملكة المتّحدة عبر نظام الحدود الإقصائي - الذي من بين أفظع عناصره الاحتجاز لأجل غير مسمّى. من خلال هذه الممارسات العنصرية، سمحت المملكة المتّحدة بظهور قسوة تُلحق ضرراً بالغاً بمن يتعرّضون لها، بل تُلحق ضرراً بالغاً بالثقافة ككلّ. السؤال الذي يشغلني هذه الأيام هو ما إذا كانت الحكومة الجديدة ستُغيّر اتجاهها.

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنى تغييره فيها؟

مع تزايد عدائية السياسة في المملكة المتّحدة، قامت مجموعات من الناس العاديّين الذين لا يملكون سوى القليل من الموارد أو لا يملكون أي موارد على الإطلاق ببإنشاء شبكات التضامن. من خلال هذا النوع من الأعمال المدنية المستدامة يمكن تغيير السرديات. أمّا ما أودّ تغييره، فالقائمة طويلة؛ يوجد في المملكة المتّحدة رفضٌ رسمي لسماع أسباب سعي الأشخاص المُستضعَفين إلى الانتقال. إذا أُنهي هذا الرفض، فسوف يتغيّر الكثير.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

آه، هذا سؤال كبير. لقد وقعتُ في حبّ الشعر في سنّ مبكرة، على أيدي شعراء أقدرهم بشدّة؛ ولطالما بدا لي الشعر بمثابة مساحة يمكن من خلالها تخيُّل إمكانيات جديدة. لو قُيّض لي البدء من جديد، أظنّ أنّني كنت سأتّجه أكثر نحو النثر. أنا الآن أكتب عملاً نثرياً حول كيفية تسليحنا للبحر. وكيف ينبغي علينا إعادة تخيُّل علاقتنا به. لكنّني وجدت الشعر في وقت مبكر. إنّه الدرب الذي أمشي فيه.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

هذا سؤال أكبر بكثير بالطبع. في كتابي «الكتابة ضد الطرد»، دعَوتُ إلى إعادة النظر في اللحظة التي أُسّست فيها لغة حقوق الإنسان. تناول الكتاب الإعلانَ العالمي لحقوق الإنسان، ولكنّه تحدّث أيضاً عن معاصرين مثل فانون وارندت والشاعر تشارلز أولسون. إنّنا ننسى أو نُنكر الدوافع الكامنة وراء تأسيس حقوق الإنسان، وذلك يعرّضنا للخطر. علينا أن نطالب باستمرار بالالتزام النشيط بحقوق الإنسان.

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

إميلي ديكنسون، حتى أسألها كيف كتبت تلك القصائد الجميلة، المحيرة، والمُشبعة.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

إنّ التحدّي الأخطر الذي يواجه الكتابة في عالم اليوم هو الشعبوية واختزالها للسياسة في الأمة. الكتابة التي أرغب بقراءتها تتناول الروابط البشرية والتضامن بجميع أشكاله. حزبات الكتابة تتعارض مع التهديد الشعبوي.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

لقد ركّزت أعمالي في العقد الماضي على مساحات وممارسات الترحيب. من بين اهتماماتي الرئيسية الطريقة التي شُكّلت بها سياساتُ العداء والطرد الثقافة في المملكة المتّحدة. هذه ميول ضارة للغاية ولها علاقة كبيرة بالطريقة التي تُستخدم بها اللغة. لقد بحثت في قصائدي عن أساليب التعبير عن أشكال الصداقة والتضامن. السؤال الذي أعود إليه باستمرار هو، كيف نعيد تصوُّر مساحتنا المشتركة؟

■ الأدب العالمي يكتبه المترجمون. إلى أي درجة توافق على هذه المقولة وإلى أي درجة كتبك المترجمون؟

أتعاطف بشدّة مع هذا المقولة. من المستحيل التفكير في الشعر الإنكليزي دون التفكير بدَينه للتقاليد اللغوية الأخرى. إنّ تاريخ الشعر طويل ولا يمكن تصوّره بدون مترجمين.

■ كيف تصف علاقتك مع اللغة التي تكتب فيها؟ هذا سؤال صعب ومثير للاهتمام. إنّني أدرك تماماً، في الوقت الحاضر، أنّ اللغة الإنكليزية تُستخدم لخلق سياقات تدفع الناس بعيداً وتجبرهم على الخروج. وهذا جانب مزعج للغاية في الإنكليزية. لهذا السبب، شرعت في إيجاد طرق لإبقاء اللغة مفتوحة. إنّي أكتب الشعر الغنائي لأنّني أحبّ الترابط الذي يطمح إليه هذا الشعر، واللغة التي أريدها قادرة على التضامن والترحيب.

■ كاتب منسي من لغتك تودّ أن يقرأه العالم؟

الشاعر الذي لم يسمع الكثيرون عنه، والذي يضعنا بشكل جميل في العالم هو توماس آ. كلارك Thomas A. Clark. لقد قرأت أعماله وأحببتها عندما قرأت الشعر لأوّل مرّة، ثم تعرّفت عليه مجدّداً بعد انتقالي مؤخّراً إلى إسكتلندا. يجب مشاركة أعماله، وعلاقتها بالبيئة التي يصوّرها، على نطاق أوسع.

■ لو بقي إنتاجك بعد 1000 سنة، كيف تحب أن تكون صورتك عند قرّائك؟

لا يمكنني تصوُّر أنّ كتبي ستبقى بعد 1000 سنة من الآن. ولكن إذا عثر أحد القرّاء المستقبليّين على كتاباتي في الأرشيف، أو في أي مكان آخر، فسأكون سعيداً إذا حملت أثراً لتاريخ عصرها.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك؟

أودّ أن أشكركم على كرمكم الشديد في الاهتمام بعملي. أمل أن تجدوا فيه التطلعات والالتزامات التي يتردد صداها معكم.

> يهدف شعري إلى التعبير عن أشكال الصداقة والتضامن
>
> التحدّي الأخطر الذي يواجه الكتابة اليوم هو الشعبوية

بطاقة

David Herd شاعرٌ وكاتب وناشط بريطاني من مواليد عام 1967 في ليستر. درس في جامعتي بريستول وكلّية لندن الجامعية. يُدرّس حاليا الأدب وحقوق الإنسان في «جامعة سانت أندروز» ويشارك في تنظيم مشروع «حكايات اللاجئين». صدرت له عدّة كتب شعرية ونثرية؛ من بينها في الشعر: «والكلّ فقط» (2012) و«خلال» (2016) و«أغنية المشي» (2022)، وفي النثر: «الكتابة ضدّ الطرد في عالم ما بعد الحرب» (2023/ الخلاف).

إطلالة

مخاطرة الفراشة في مهبّ الحرائق

تحدّيات عمل اسمه الكتابة

> ليس هذا رثاءً لحال الكُتّاب الذين فقدوا مع تهاوي معظم الصحف والمجلّات الورقية العربية أرواحهم المعلّقة بها دون أن يفكّر أحد في مصائرهم

فوزية أبو خالد

أن يجرح السقف رؤوسنا وينفر من حناجرنا ماء أجاج بمجرّد الشروع في الكتابة، سواء قاربناها كعمل أو شغفنا بها كهواية، أو اقترفناها كتوأم روحي متعالق تعالُق الوحي بالنبوّة والشوك بالحرير والقهوة برائحتها.

أن ينحرف موضوع الكتابة عن العنوان عمداً أو تمرّداً بما لا يشي فقط بتحدّي التباعد بين العنوان والموضوع، بل بالتشظّي المتعمّد الذي تفرضه الكتابة كعمل بين فكرة الكتابة وأخيلتها، وبين النصّ المكتوب في مآله النهائي كنسخة أخيرة من مسوّدات لامتناهية.

أمّا حين أفشل كلحظتي الراهنة في التستّر على توتّري مع ما قد يبدو تعارُضاً متوجّساً أو ماثلاً بين ما أحمله من توق شخصي وتجربة خاصة في التعامل مع الكتابة كعمل وبين علاقتي السرّية بماء الحبر كهواية وكغواية، فإنّ تحدّي الكتابة يتحوّل من حالة حالمة وغامضة بين الكتابة وبين الذات الكاتبة كشفاء وإلهام وإخلاص وتورّط في مشتهى العدل والجمال الشرير والبريء معاً، إلى حالة شائكة من الأسئلة المتبسة والصارمة التي لبعضها سمة مكيافيلية سياسية مأكرة مثل: كيف أفلتُ من تربيتي الرقابية ومن توقّع القرّاء ولو كان قارئاً واحداً متوهّماً ومن وقار المطبوعة التي أطلّ منها لإعطاء نفسي حرية اختيار كتابة بنكهة مشكّكة في المستتب بما فيه مستتبّ الكتابة وخوارقها المفترضة، وفي مساءلة القدرة على امتلاك ناصيتها أنّا بلغت ملكاتنا وارتفعت سماوات الحريات المنشودة لتماديها؟!

كيف لكتابة عابرة أن تتجرّأ على سلسلة من خيانات المعتاد، بما فيها معتاد الكتابة نفسها في مكيراتها المستقبليّين على كتاباتي في الأرشيف، أو في أي مكان آخر، فسأكون سعيداً إذا حملت أثراً لتاريخ عصرها.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك؟

أودّ أن أشكركم على كرمكم الشديد في الاهتمام بعملي. أمل أن تجدوا فيه التطلعات والالتزامات التي يتردد صداها معكم.

في عدم النظر للكتابة باعتبارها هواية خطرة، ولا يعبأ بما ترتّب عليهما: التنكّر والغفلة مع الأسف من سياسات تفريط عربي عام في الحقوق المالية والأدبية للكتابة أو تحجيم تلك الحقوق للحدّ الأدنى إلّا نادراً، فيمضي الكُتّاب في الكتابة وكأنّهم يلعبون ولا يعملون، وإن كان هذا يحدّ ذاته أجمل جزاء.

ومع أنّ الكتابة في رأي مجرّبي جراحها وفي روع المنتمين إليها هي السهل الممتنع الأشدّ تعقيداً من بين أنواع العمل، فإنّ التحدّي ألّا يروم القلم الإشادة ولا التشكّي ولا حتى الإشارة إلى الكتابة كعمل خلّاق، بل أن يُوغل في معتزل عروض الإخلاص لها والمثابرة عليها والقراءة المعمّقة لأجلها، وحيداً بصبر أو جزع جميل بما يقتضيه العمل في حقل الغامها من تبتّل واستغراق ومن إسراف في تبديد الوقت عليها، وكأنّ العمر البشري ألف عام.

ليس في مضمر هذا المقال ولا في علانيته في الكتابة عن تحدّي الكتابة لا إبداء تعاطف ولا عداوة ولا حتى حياد تجاه من فقدوا عملهم في الكتابة طوعاً أو كرهاً، يأساً أو ابتلاءً، انسحاباً أو سأماً. وبالمثل، فإنّه ليس رثاءً لحال الكُتّاب الذين فقدوا مع فقد عملهم في الكتابة، نتيجة تهاوي معظم الصحف والمجلّات الورقية في عالمنا العربي، أرواحهم المعلّقة بها دون أن يفكّر أحد في مصائرهم الإنسانية، وكأنّ الأمر امتدادٌ لتلك النظرة «الرومانسية القاسية» التي لا ترى الكتابة عملاً، بل لا تفرّق بين شرط متضادّات الكتابة كعمل وكهواية.

الغريب أنّني حين استولت على تلابيبي فكرة الكتابة عن تحدّيات عمل اسمه الكتابة، كنتُ أحسب أنّني لا شعورياً سأكتب عن الحرفة التي نعاني منها جميعاً من تلك الكتابة الضامرة الصامتة القليلة الرثّة أمام الكارثة الفارهة الصاخبة النضرة والكبيرة التي نعيشها يومياً ويعيشها العالم قاطبةً على أرض غزّة كرمز لأزمة ضمير فردي وجمعي، وليس فقط كتحدّ للكلمة النزيهة والموقف الشجاع على الأرض.

كنتُ أخال أيضاً أنّه لا بدّ في نفس سياق الأسئلة من الوقوف بالتحوّلات المثيرة التي خلقها الذكاء الاصطناعي وعموم التكنولوجيا وتعدّد أوعيتها ووظائفها وتحدياتها الحثيثة لفرز التحدّيات الجديدة التي يواجهها عمل اسمه الكتابة ولمقامرة اسمها

> يمضي الكُتّاب في الكتابة وكأنّهم يلعبون ولا يعملون

(شاعرة وكاتبة وأكاديمية من السعودية)

مجد كردية. زيت على قماش، 2021

قصائد

كُنّا أسعَد مَن في الغابة إلى أن هجرناها، ثم عُدنا لتدميرها

كلّما تورّطت في رحلة

«البلاد التي نغتني تأتي لزيارتي كلّ مساء»، مجد كردية، 2021

صافي قطيني

في بادئ الأمر

في بادئ الأمر
كنتُ أجري في حياتي
وكأنّني أقود درّاجة بسيطة
بيراعة وتلقائية أدير العجلات
فأتخطّى الكثير
وأرسم لحياتي أبعاداً جديدة
وأغدو بثلاث دقائق مَحمُومة
على تلّة حالمة في البعيد
تحت شمس جديدة،
ناسياً ما كانَ وما كُنتُ
فأرخي قدميّ واقف لأكون
بكامل جسدي ونفسي
مُستغرقاً في الصّفاء والنّور،
النّسيم الذي يُلاطف كعْجب
السكون الذي تتخلّلُهُ
أصوات مُؤنِسة
والذات التي تُناجي وتذوب في البَوح
كقطعة سُكّر،
والآن كأنّني في حجرة قيادة
لطائرة بمُحرّك مُشتعِل،
مُندفِع/مَدفوع بطريقة أعجز
عن استيعابها
أملك لكل احتمال في الحياة
عشرة أزرار على الأقل
وكلّما توزّعت في رحلة
تراني أهبط اضطراريّاً.

طريقة أجنبيّة تماماً

مهما حاولتُ
أن أعوي الواو كذئب وحيد
لقمر غائب،
أن أنبح بشراسة
مُفردات خشنة وصلبة،
أن أنثني لأهشّم عمودي الفقري
لتعرف أنّهُ أوان الفاصلة،
أو أتكوّر كنقطة متروكة ومَيّتة
لتعرف أنّي في نهاية نص حزين،
لا فائدة.

لا فائدة،
حتى لو اضطرّتني بعض الجُمل
لأن أكشّر عن أضلاعي كأنياب
أغرز حوافّها الحادّة في صدري،
وأسحبها رويداً رويداً
كي أصل إليك،
إلى ذلك العمق من البداهة،
إلى تلك الهوّة من الأذى،
لن أفهَم.

لن أفهَم
مهما حاولت،
الكلام طريقة أجنبيّة تماماً.

لكن،
إن كُنت تعتقد أنّ الدّمعة أعمق من الفكرة
فمن الممكن أن تَحظى بحالة تقريبيّة.

كُنّا أسعَد مَن في الغابة

لا بُدَّ أنَّ إنساناً كاملاً قد عَبَرَ هذه الأرض
في منتصف المسيرة الهوجاء
في المكان الشاغر بيننا والقِردة
كان ثمّة حيوان تامّ
مُشبعٌ بالغريزة التي تَقودُهُ لأبواب السّعادة
بالعقل القادر على ابتكار مقابض للأبواب.
حينما لم تَكُن لنا هذه القِشرة الفائضة عن حاجتنا
لم يُصبنا التَّفكير المُجرّد بالكآبة العاصفة
لم يُقعِدنا العقل بفَرطِه
ولا الشُّك بوسواسه
كُنّا أسعَد مَن في الغابة
إلى أن هجرناها تماماً
ثم عُدنا لتدميرها
بحجّة أنّنا نحتفظ بالجزء المتوحّش داخلنا.

■■■

أطلُّ على الحرائق

هذا الانحدار المُنهمر لا بدّ أن ينتهي،
على الجموع الغفيرة الماشية في المجهول
أن تتحلّل،
وللجثث أن تختار مصيرها بحريّة.

(شاعر من سورية)

النصّ الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

حتى الحادي والثلاثين من الشهر الجاري، يتواصل في «دار الكتب الوطنية» بتونس العاصمة **معرض وثائقي** لمناسبة مرور ثمانين عاماً على رحيل السياسي والمفكر التونسي **عبد العزيز الثعالبي** (1876 - 1944). يضيء المعرض، الذي افتتح الثلاثاء الماضي، سيرة الراحل ومؤلّفاته والدراسات حوله، ومرحلة نفيه بسبب معارضته للاستعمار.

لمحات من تاريخ المغرب عبر المقتنيات الارشيفية والوثائقية للمكتبة التراثية، عنوان المحاضرة الافتراضية التي يقدّمها الباحث المغربي **معز الحريدي** عند الرابعة والنصف من عصر غدٍ الاثنين، بتنظيم من «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة. توضّح المحاضرة طبيعة العلاقة التي امتدت لقرون بين بلدان العالم الإسلامي، استنادا إلى مجموعة المواد الارشيفية والوثائقية.

بمشاركة تسعة عروض محلّية، تتواصل حتى مساء الخميس المقبل فعاليات **الموسم المسرحي الاردني**، الذي افتتح الاربعاء الماضي في «المركز الثقافي الملكي» بعمّان. من بين العروض المشاركة: **حمام الهنا** لـ **هشام سويدان**، و**القلادة العجيبة** (الصورة)، لـ **رمضان الفيومي**، و**محاولة 76** لـ **شفاء الجراح**.

يُفتتح، مساء السبت المقبل، في **مؤسسة كارتييه للفن المعاصر** بباريس، معرض استعادي للفنانة الكولومبية **اولغا دي اماراك** (1932)، ويتواصل حتى السادس عشر من آذار/ مارس المقبل. يضمّ المعرض تسعين عملا من النسيج تعكس تأثّر الفنانة بالتقاليد الحرفية في اميركا الجنوبية، وبالفنون القديمة في حقبة ما قبل الاستعمار الإسباني.